

الأضحية والقرايين

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي

يدلنا البحث في نشأة الأديان وتاريخها على أن فكرة التقرب للمعبودات بتقديم الأضحية والقرايين، واتخاذها سلاًّما تصعد عليه رغبات عالم الأرض ومخاوفه إلى عالم السماء، والتوسل بها لجرّ ما يبتغيه الأفراد والجماعات من منافع ودفع ما يتهدهما من أضرار، كل ذلك قد نشأ مع الإنسانية، وظل ملازماً للتفكير الديني في مختلف مراحلها، ويسظل باقياً مادامت العقائد والعبادات. فلم يخل من هذه الشعيرة دين من الأديان، ولم تعر منها حياة شعب من الشعوب؛ جاءت بعبادات الطوطميين والمجوس والوثنيين والصائبة والمائية وعبدة الكواكب والحيوان؛ كما جاءت في شرائع اليهود والمسيحيين والمسلمين. نعثر عليها في أبسط مظاهر التدين وأكثرها اضطراباً؛ كما نجدتها في أرقى أشكاله وأشدّها دقة وإحكاماً. ولا أدل على قدمها وعموم انتشارها من الكلام عنها في جميع أسفار "العهد القديم" وم أن القرآن الكريم يحدثنا عن شكل من أشكالها جرى العمل به في عهد آدم أبى البشر نفسه إذ يقوا. "وآتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قرّبنا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. (1)".

وقد جرت هذه العبادة الدموية على بنى الإنسان كثيراً من المصائب والويلات. فكم أثلكت أمهات وبيتمت أطفالاً وأيّمت نساء، وكم ذهبت في سبيلها أرواح برينة طمعة للنيران وغذاء للأسماك، وكم حملت الآباء على تقديم أبنائهم قرباناً للآلهة وإزهاق أرواحهم بأيديهم، وكم دعتهم إلى وأد بناتهم أو إغراقهن ابتغاء مرضاة المعبودات، وكم دمرت من مدن وقضت على شعوب.

وذلك أن الضحايا في أقدم أشكالها وعند طائفة كبيرة من الشعوب البدائية